

جامعة بابل

كلية العلوم الإسلامية / قسم لغة القرآن وإعجازه

المرحلة الرابعة - فقه اللغة

مدخل إلى فقه اللغة

(المفاهيم ، الموضوعات ، القضايا)

الأستاذ الدكتور رحيم الشريفي

المُحاضرة الأولى : فِقْهُ اللُّغَةِ (تعريفُهُ وموضوعاتُهُ وفوائدهُ)

في هذه المحاضرة سنبيِّن دَلالةَ هذا المفهومِ بوصفِهِ (مركَّبًا وصَفِيًّا) مؤلَّفًا من ركنينِ محوريينِ ، هما : فقه ، اللُّغة .

وسنحاولُ أن نبيِّنَ دَلالةَ كُلِّ محورٍ فيما يأتي :

أولًا : فِقْهُ

قال ابنُ فارسٍ (ت ٣٩٥هـ) : ((الفاء والقاف والهاء أصلٌ صحيحٌ ، يدلُّ على إدراكِ الشَّيْءِ والعِلْمِ بِهِ . تقولُ : فَقِهْتُ الحديثَ أَفْقَهُهُ ، وكلُّ عِلْمٍ بشيْءٍ فهو فِقْهُ ، يقولون : لا يَفْقَهُهُ ولا يَنْقَهُهُ ؛ ثُمَّ اختَصَّ بذلكِ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ ، فُقيلَ لكلِّ عالِمٍ بالحلالِ والحرامِ : فقيهٌ ، وأَفْقَهُتُكَ الشَّيْءَ : إذا بيَّنْتُهُ لَكَ)) (١). وقال الفيومِيُّ (ت ٧٧٠هـ) : ((الفِقْهُ فَهْمُ الشَّيْءِ ... وَفِقَهُ فَقَّهًا مِنْ بَابِ تَعَبٍ إِذَا عَلِمَ)) (٢).

نُخِصُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْفِقْهَ هُوَ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ وَالْعِلْمُ بِهِ وَالتَّنْقِطُ إِلَيْهِ.

أَمَّا فِي الاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ فَالْفِقْهُ : ((التَّوَصَّلُ إِلَى عِلْمٍ غَائِبٍ بِعِلْمٍ شَاهِدٍ ، فَهُوَ أُخِصَّ مِنَ الْعِلْمِ ، قَالَ تَعَالَى : ((فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)) (النساء/ ٧٨) ، ((وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)) (المنافقون/ ٧) ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ ، وَالْفِقْهُ : الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، يُقَالُ : فِقُّهُ الرَّجُلُ فَقَّاهَةً : إِذَا صَارَ فَقِيهًا ، وَفِقَهُ أَي : فَهِمَ فَقَّهًا ، وَفَقَّهَهُ أَي : فَهِمَهُ وَتَقَفَّهُ : إِذَا طَلَّبَهُ فَتَخَصَّصَ بِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ((لِيَتَّقَهُوا فِي الدِّينِ)) (التَّوْبَةُ/ ١٢٢) ((٣)).

ثانياً : اللُّغَة

قال ابنُ فارس : ((اللَّامُ والغَيْنُ والحرفُ المعتلُّ أصلانِ صحيحانِ : أحدهما يدلُّ على الشَّيْءِ لا يُعتدُّ به ، والآخِرُ على اللَّهَجِ ... والثَّاني : قولهم : لَغِيَ بالأمرِ ، إذا لَهَجَ به ويُقالُ : إنَّ اشتقاقَ اللُّغَةِ منه ، أي يَلْهَجُ صاحبُها بها)) (٤) .

وقال الرِّازِيُّ (ت ٦٦٦هـ) : ((لغا : قال : باطِلاً ... واللَّغِيَةُ اللُّغُو ، قال تعالى : ((لاتسمعُ فيها لاغِيَةً)) أي : كلمةٌ ذاتُ لَغُوٍ ، وهو مثلُ لابنٍ وتامرٍ ، واللُّغَة : أصلُها لُغِيٌّ أو لُغُوٌ ، وجمعُها : لُغَى... ولُغَاتٌ ... والنَّسبةُ إليها : (لُغَوِيٌّ) ولا تَقُل : لُغَوِيٌّ)) (٥).

أما في الاستعمالِ القرآنيِّ فاللُّغُو من الكلامِ : ما لا يُعتدُّ به ، قال الرَّاغِبُ : ((وهو الَّذي يُورَدُ لا عن رويَّةٍ وفِكْرٍ ، فيجري مجرى اللُّغا وهو صوتُ العصافيرِ ونحوها من الطُّيورِ ... وقد يُسمَّى كلُّ كلامٍ قبيحٍ لُغُوًا ، قال : ((لا يسمعون فيها لغوًا ولا كِدَابًا)) (النَّبَأُ / ٣٥) ، وقال : ((وإِذا سَمِعوا اللُّغُو أَعرضوا عنه)) (القصص / ٥٥) ... وَلَغِيَ بكذا . أي : لَهَجَ به لَهَجَ العُصْفُورِ يَلْغَاهُ ، أي : بصوتِهِ ، ومنه قيل للكلامِ الَّذي يَلْهَجُ به فِرْقَةٌ فِرْقَةٌ : لُغَةٌ)) (٦).

اللُّغَة في الاصطلاح

أولُ مَنْ عرَّفَ اللُّغَةَ - فيما نحسبُ - ابنُ جِنِّي (ت ٣٩٢هـ) في كتابهِ القَيِّمِ (الخَصَائِصِ) ، إذ لم نقفْ على تعريفٍ للُّغَةِ قبلَ القرنِ الرَّابِعِ الهجريِّ ، وعلى الرِّغمِ من أنَّ ابنَ فارسٍ (ت ٣٩٥هـ) قد أَلْفَ في (فِقْه اللُّغَةِ) في ظلِّ كتابهِ النَّافِعِ (الصَّاحِبِيَّ في فِقْهِ اللُّغَةِ وسُنَنِ العَرَبِ في كلامِها) ، وكذلك أبو منصورِ الثَّعالبيِّ (ت ٤٢٩هـ) في كتابهِ النَّافِعِ (فِقْه اللُّغَةِ وسرِّ العَرَبِيَّةِ) إلا أنَّهما لم يُعرِّفا اللُّغَةَ.

وقد نال تعريف ابن جنّي للغة الحظوة في الدرس اللغوي القديم والحديث ، وتناقله علماء العربية ، بله الأوساط العلمية الغربية ، فقد اشتمل على مجمل جوانب التعريف لـ (علم اللغة) في العصر الحديث .

قال ابن جنّي : ((باب القول على اللغة وما هي : أمّا حدّها فإنّها أصوات يُعبّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم))(٧) .

وهذا التعريف مشتمل على أربعة محاور مهمة ، هي :

- إنّ اللغة أصوات منطوقة .
 - الوظيفة الرئيسة للغة التعبير عن مراد المتكلم وقصده .
 - اللغة اجتماعية تحي بين قوم يتواصلون بها .
 - اللغة تعبير عن أغراض وحاجات .
- ويبدو أنّ هاتيه المحاور هي الأساس في تعريف اللغة عند جميع من عرفها ، وإن كانت بعض التعريفات الحديثة للغة تتوسّع فتدخل في اللغة كلّ وسيلة تفاهم ، ولا تقتصر على الأصوات ، فتجعل فيها الإشارات ، وتعبيرات الوجه ... وغيرها ؛ فإنّ الأشهر هو حصر اللغة في الأصوات المنطوقة ؛ لأنّ غيرها من الوسائل محدودة وقليلة معدومة))(٧).

وعلى الرغم من أنّ ابن جنّي قد أخرج (الكتابة) من تعريف (اللغة) ، ((فقد قرّر غير واحد من اللغويين المحدثين هذه النقطة ، وإن كان بعضهم يُشير إلى اعتماد لغة الكتابة على اللغة المنطوقة))(٨) .

وقد بيّن اللغوي الفرنسي جوزيف فندريس الخلاف بين اللغة المنطوقة والمكتوبة ، بقوله : ((وهكذا نرى أن الاستعمال يتفق مع التقاليد في تأكيد اختلاف اللغة المكتوبة

على اللغة المتكلمة . والواقع أنهما لا يختلطان أبداً ومن الخطأ أن نظن أن النص المكتوب يُعتبر تمثيلاً دقيقاً ((٩).

وعرّف ابن الحاجب اللغة بأنها : ((كل لفظٍ وُضِعَ لمعنى)) ((١٠).

ويرى الدكتور حاتم الضامن أن اللغويين المُحدثين وفي مقدّمهم العالم اللغويّ (دي سوسور) الذي يرى أن اللغة في جوهرها نظامٌ من الرموز الصوتيّة أو مجموعة من الصور اللفظيّة تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغويّة وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معيّن ، ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها عن طريق السماع)) ((١١) .

ثالثاً : فقه اللغة تعريفاته وموضوعاته

بعد أن بيّنا دلالات الجزعين للمركب الوصفيّ (فقه اللغة) أن الأوان أن نبزق ببيان المراد من (فقه اللغة) ، وسنحاول أن نستعرض تعاريف الباحثين المُحدثين ممن كتبوا في (فقه اللغة) ، مع الإشارة إلى موضوعات هذا العلم .

١- الدكتور رمضان عبد التّوّاب ، قال : ((تطلق كلمة فقه اللغة - عندنا الآن على العلم الذي يُحاول الكشف عن أسرار اللغة ، والوقوف على القوانين التي تسيّر عليها في حياتها ، ومعرفة سير تطوّرها ، ودراسة ظواهرها المختلفة دراسة تاريخية من جانب ، ووصفيّة من جانب آخر)) ((١٢) .

ويرى أن هذا العلم بحسب هذا التّصوّر يضمّ كلّ الدّراسات اللّغويّة التي تبحث في نشأة اللغة الإنسانيّة ، واحتكاك اللّغات المختلفة بعضها ببعض ، ونشأة اللغة الفصحى واللّهجات ، وكذلك تلك التّشّتهتم في أصوات اللغة ودلالة الألفاظ وبنيتها من النّواحي التاريخيّة المقارنة والنّواحي الوصفيّة ، فضلاً عن العلاقات النّحويّة بين مفرداتها ، والبحث في أساليبها واختلاف هاته الأساليب إن شعراً وإن نثراً ((١٣).

٢- الدكتور صُبْجِي الصَّالِح ، قال : ((ونستطيعُ أن نعرِّفَ فِقهَ اللُّغةِ بأنَّه منهُجٌ استِقْرَائِيٌّ وَصَفِيٌّ يُعرَّفُ به موطنُ اللُّغةِ الأوَّلِ وفصليتها وعلاقتها باللُّغاتِ المُجاورةِ أو البعيدةِ الشَّقِيقةِ أو الأجنبيَّةِ ، وخصائصُ أصواتِها وأبنيَّةِ مفرداتِها وتراكيبِها ، وعناصرِ لَهْجاتِها ، وتطوُّرِ دَلالاتِها ، ومدى نمايها قراءةً وكتابةً)) (١٤) .

ويرفُّبُ في تعريفِ (فِقهَ اللُّغةِ) دراسةً ثلاثةَ عُلُومَ ، هي :

- التَّاريخُ : معرفة موطن اللُّغةِ الأوَّلِي ، وروابطِ الفُرْصِي بينها وبين اللُّغاتِ الإنسانيَّةِ الأخرى ، وتنوُّعِ لَهْجاتِها وتطوُّرِ خطِّها وكتابتها .
- علمُ الصَّوتِ : بحثُ لَهْجاتِ اللُّغةِ وأصواتِها ، ومعرفة أنواعِ التطوُّرِ الصَّوتِي فيها .

- علمُ الدَّلالةِ : لبحثِ تطوُّرِ ألفاظِها وما تُفيدُهُ مِنَ المعاني(١٥) .

٣- الدكتور محمَّدُ المباركَ ، يرى أن فقهَ اللُّغةِ هو العلمُ الَّذِي يُعنى بدراسةِ اللُّغةِ وخصائصِها والمباحثِ الأساسيَّةِ المتعلِّقةِ بالكلمةِ المفردةِ بوجهٍ عامٍّ ، ثمَّ تبيانِ خصائصِ العربيَّةِ وأساليبِ العربِ في الكلامِ والحياةِ والتَّفكيرِ (١٦) .

ثمَّ استَعرضَ أهمَّ موضوعاتِ فقهِ اللُّغةِ مبتدئاً بالحُرُوفِ بوصفها العناصرِ الصَّوتِيَّةِ الَّتِي تتألَّفُ منها الألفاظِ المفردةُ ، ثمَّ الانتقالِ إلى مادَّةِ الكلمةِ أو تركيبِها مِنَ الحروفِ الَّتِي تتألَّفُ منها ، من نحوِ (الاشتقاق) ، ثمَّ بحثِ في تركيبِ الكلمةِ من جهةِ شَكْلِ التَّركيبِ أو صيغةِ البناءِ وهو البحثُ المعروفُ بـ (الأبنيَّةِ والأوزانِ) ، ثمَّ دراستُ الكلمةِ من حيثِ (الدَّلالةِ والمعنى) (١٧) .

٤- الدكتور حاتمُ صالحِ الضَّامن ، لم يذكر تعريفًا واضحًا لفقه اللُّغةِ إلاَّ أنَّه أشار إلى فروقٍ بينَ علمِ اللُّغةِ وفِقهِ اللُّغةِ ، من هاتِهِ الفُروقِ يمكنُ استحصالُ تعريفِ لفقه اللُّغةِ ، فهو العلمُ الَّذِي يُعنى بمعرفةِ الألفاظِ العربيَّةِ ودَلالاتِها وتصنيفِ تلكِ الألفاظِ في موضوعاتٍ ، فضلًا عن ذلكِ يَدْرُسُ اللُّغةَ بوصفها وسيلةً لدراسةِ الحضارةِ أو الأدبِ

من خلالها ، وهو أوسع من علم اللُّغة وأشمل ؛ لأنَّ الغاية النَّهائيَّة منه دراسة الحضارة والأدب والبحث عن الحياة العqliَّة من وجوها أجمع ، من هنا اهتم فقهاء اللغة بتقسيم اللُّغات وبمقابلة بعضها ببعض (١٨) .

٥- الدُّكتور محمد بن إبراهيم الحمد ، عرَّفَ (فقه اللُّغة) في الاصطلاح بأنَّه : ((العلمُ الَّذي يُعنى بمعرفة سننِ العربِ في كلامها بدراسة قضايا اللُّغة ؛ من جهة أصواتها ومفرداتها وتراكيبها ، وفي خصائصها الصَّوتية والصَّرفية والنَّحوية والدَّلائية ، وما يطرأ عليها من تغييراتٍ ، وما يَنشأ من لهجاتٍ ، وما يُثار حولَ العربيَّة من قضايا ، وما تواجهه من مشكلاتٍ إلى غير ذلك ممَّا يجري ويدور في فلكه)) (١٩) .
وعرّفه تعريفاً موجزاً بقوله : ((هو العلمُ الَّذي يُعنى بفهم اللُّغة ، ودراسة قضاياها ، وموضوعاتها)) (٢٠) .

وقد أبانَ عن أهمِّ الموضوعاتِ التي تندرجُ في (فقه اللُّغة) بشيءٍ من الإيضاح المُجمَل ، وهي :

- القولُ في أصلِ اللُّغة ، والخلافُ في ذلك .
- خصائصُ اللُّغة العربيَّة ، وما تتطوي عليه من أسرارٍ وحقائقٍ وجمالٍ .
- معرفة سننِ العربِ في كلامها .
- علم الأصوات اللُّغوية .
- لهجاتُ العربِ واختلافُها .
- بنيةُ الكلمة العربيَّة وهو ما يُسمَّى بالصَّرْفِ .
- الجملة ، أو التَّركيب وهو ما يُسمَّى بالنَّحو .
- دلالةُ الألفاظِ أو معانيها .
- تطوُّرُ دلالةِ الألفاظِ وانحطاطها .
- الأشتقاقُ بأنواعه .

- المُشْتَرِكُ والمترادفُ والمتضادُّ ، والنَّحْتُ .
- التَّعْرِيبُ وضوابطُهُ .
- البمعاجمُ العربيَّةُ ومدارسها ومناهجُ أصحابها .
- مسألة تنقيَّة اللُّغة
- المعوقاتُ والصُّعوباتُ والمشاكلُ التي تواجهُ العربيَّةَ .
- مواكبةُ العربيَّةِ للجديد ، واستيعابها للمصطلحاتِ في العُلومِ الصَّرْفَةِ .
- جهودُ العلماءِ في التجديدِ في القديمِ والحديثِ .
- الوقوفُ أمامِ الدَّعواتِ إلى العاميَّةِ ، وتركِ الإعرابِ ، وإصلاحِ الخطِّ العربيِّ وغيرها .

- العنايةُ بالدِّرَاساتِ التي تتوافرُ عليها المجامعُ اللُّغويَّةُ ، وما يتحصَّلُ عنها من نتائجٍ وقراراتٍ (٢١) .

رابعًا : فوائدُ فقهِ اللُّغةِ

- ١- إنَّ معرفةَ اللُّغةِ معرفةٌ عميقةٌ وتفهمها وتدوَّقها لا يكونُ بمعرفةِ جزئياتِها ومفرداتها ولا بقواعدها المحدودة ، وإنَّما يكونُ بالغوصِ في أعماقِها وسَبْرِ أغوارها وتعرُّفِ قوانينِها وسُنَنِ تطوُّرها ، من هنا فإنَّ فقهَ اللُّغةِ يكشفُ عن خصائصِ اللُّغةِ وتعرِّفُ تطوُّرها ، وتفهمُ الكثيرِ من جزئياتِها ؛ من أجلِ حلِّ الكثيرِ مِنَ المشاكلِ .
- ٢- الكشفُ عن عقليَّةِ الأُمَّةِ التي تتكلَّمُ هاته اللُّغةَ المباركةَ ، والكشفُ عن جوانبِ من حياتِها وتاريخِها ومدنيَّتها ، والوقوفُ على حيويَّتها ، والحفاظُ على أنسابِ الألفاظِ في العربيَّةِ .
- ٣- يساعدُ هذا العِلْمُ على الكشفِ عن تاريخِ العاداتِ والأخلاقِ والبيئاتِ ، فضلًا عن تعرُّفِ أنماطِ التَّفكيرِ .
- ٤- الاعتزازُ باللُّغةِ العربيَّةِ وتعرُّفُ أسرارها وحقائقها .

٥- التَّمَكَّن من النُّطْقِ السَّلِيمِ ، في ضوءِ تعرُّفِ مخارجِ الحروفِ وصفاتها وما يترتَّب على ذلك من قوانين صوتيَّة تُعيَّن على النُّطقِ السَّلِيمِ .

٦- مواجهة ما يُحاك ضدَّ العربيَّة من جهة اتِّهامِها بالصُّعوبة والجمود ، والدَّعوة إلى العاميَّة وترك الإعرابِ وكتابة الحروف بحروف جديدة أخرى ، وغير ذلك من الدَّعاوى البائسة التي تهدمُ الدِّينَ وتضعف اللُّغة في نفوس أهليها .

٧- سدُّ الحاجة ومواكبة التطوُّر ، من خلال استئثار اللسانيَّات الحديثة في تطوير اللُّغة العربيَّة ، وكذلك الإفادة من خصائص العربيَّة كالاشتقاق والنَّحت في تعريب المصطلحات الغربية بما يخدمُ أمتنا ولغتنا .

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ وصلى اللهُ على محمَّدٍ وآله الطَّاهرينَ

هوامش المحاضرة الأولى

القرآن الكريم

- ١- مقاييسُ اللُّغة : ٦٩١ (مادة فقه) .
- ٢- المصباح المنير : ٣٠٨ (مادة فقه) .
- ٣- مُفردات ألفاظِ القرآن : ٢٤٢ (مادة فقه) .
- ٤- مقاييسُ اللُّغة : ٨٠٢ (مادة لغو) .
- ٥- مختار الصَّحاح : ٦٠٠ (مادة لغا) .
- ٦- مفردات ألفاظِ القرآن : ٧٤٢ (مادة لغا) .
- ٧- فقه اللُّغة (مفهومه موضوعاته قضاياها) : د محمد بن إبراهيم الحمد : ١٨ .
- ٨- فقه اللُّغة في الكتب العربيَّة : د عبده الرَّاجحي ، ٦٢ .
- ٩- اللُّغة : جوزيف فندريس ، ٤٠٤ .
- ١٠- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب : أبو الثناء الأصفهاني : ١ / ١٥٠ .
- ١١- ينظر : علم اللُّغة : ٣٢ .

- ١٢- فصول في فقه اللّغة : ٩ .
- ١٣- ينظر : المصدر نفسه : ٩ .
- ١٤- دراسات في فقه اللّغة : ٢١-٢٢ .
- ١٥- ينظر : المصدر نفسه : ٢٢ .
- ١٦- ينظر : فقه اللّغة وخصائص العربية (دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد) : ٦ .
- ١٧- ينظر : المصدر نفسه : ١٧ .
- ١٨- ينظر : فقه اللّغة : ١٥ - ١٦ .
- ١٩- فقه اللّغة : ١٩ .
- ٢٠- المصدر نفسه : ١٩ .
- ٢١- ينظر : فقه اللّغة وخصائص العربية ؛ ٤٠ - ٤٢ . وفقه اللّغة (مفهومه موضوعاته قضاياها) : ٢٥-٢٦ ، وينظر : محاضرة للدكتور عزّ الدين أبو شيخيّ (أوجه استثمار اللّسانيات في تطوير اللّغة العربيّة) على الشّابكة الإلكترونيّة ، قناة مجمع اللّغة العربيّة .
-